رحلتي(2) إلى قصر فانسان بباريس في 2015

-Service historique de la défense-

(6-7-8 ماي 1960م)

أ. د عبد القادر خليفي*

مقدمة: تشهد الجامعة الجزائرية إقبالا كبيرا على الدراسات التاريخية عن الفترة الاستعمارية، مما أدى إلى كثرة البحوث عن هذه الفترة من تاريخ الجزائر المعاصر، لتوفر إمكانات البحث وسهولة الوصول إلى المعلومة عبر الأرشيف الذي فتح أمام الباحثين وبالأخص في فرنسا. وكذا للدعم الذي تقدمه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي للباحثين، من تسهيلات للسفر إلى هناك من خلال ما يدعى بالتربصات القصيرة والطويلة المدى.

ولهذا أصبحت مراكز الأرشيف الفرنسية مقصدا للباحثين الجزائريين لتوفرها على كم هائل ومباشر عن تاريخ الجزائر وبخاصة عن الفترة الاستعمارية. ومن هذه المركز المهمة نجد أرشيف إيكس-أون-بروفانس وقصر فانسان وأوبير فيليي وكورنوف وغيرها...

وقد كنت أحد هؤلاء الباحثين الذين استفادوا من هذه المراكز الأرشيفية، ورأيت أن أضع تجربتي أمام الباحثين الشباب لتسهيل وصولهم إلى الورقة الأرشيفية عبر مختلف المراحل. وبما أنني كنت قد كتبت في عدد سابق عن رحلتي الأولى إلى مركز أرشيف ما وراء البحار بإيكس-أون-بروفانس؛ فها أنا اليوم أتحدث عن رحلتي الثانية إلى أرشيف قصر فانسان بباريس.

ظروف الرحلة: كنت قد فكرت في زيارة مركز أرشيف قصر فانسان بباريس الخاص بأرشيف الثورة التحريرية الجزائرية، وذلك بمجرد انتهائي من زيارة أرشيف ما وراء البحار بمدينة إيكس-أون- بروفانس سنة 2013، وفي السنة الجامعية 2014/2013 حصلت على منحة تربص قصير المدى من جامعة وهران، مما سهل لي تنفيذ تلك الرغبة.

بدأت التحضير لزيارة قصر فانسان، وكان الزميل علال بيتور قد سبقني إلى هناك سنة 2014، فلم أجد صعوبة في الحصول على قوائم المواضيع الموجودة في هذا الأرشيف، والتي أمدني بها الأستاذ المذكور. تصفحت القوائم واستخرجت المواضيع التي تهمني بأرقامها(Cotes).

*أستاذ التعليم العالي- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

بعد ذلك كان عليَّ الحصول على بطاقة قارئ، والتي يمكن الحصول على رقمها عبر الإنترنت قبل الذهاب إلى فرنسا؛ على أن تسلم لك البطاقة عند الوصول إلى المؤسسة. قمت بهذا العمل في شهر فيفري من سنة 2015. [1] ومن أجل ذلك اتبعت الخطوات التالية:

1- دخلت عبر Google إلى château de Vincennes shd

2- دخلت في: Le SHD à Vincennes - Service historique de la défense

3- وجدت على اليسار في أسفل الصفحة: services à distance Yayù ugn

Réserver à Vincennes

ضغطت على Réserver des documents

خرجَتْ لي صفحة بعنوان: comment réserver des documents

- ضغطت على ici

- ملأت الصفحة بتأن ثم ضغطت على valider

لا تعطيك الصفحة إلا خانة يوم واحد للحجز تسجل عليها رقم (Cote) الملف المرغوب.[2] وسيردون عليك بوصول رسالتك، وبعد يومين أو ثلاثة يردون عليك برقمك وببرمجة الحجز.

وهذا أحد الردود التي تلقيتها من المؤسسة:

Madame, monsieur,
Nous avons bien reçu votre demande de réservation de place et de documents.
Les archives que vous souhaitez consulter sont communicables en salle de lecture *Louis XIV* sans réservation (sauf pour une consultation le samedi).
Les commandes sont à passer à la présidence de salle le jour même dans la limite de 5 documents au total par lecteur.

وهناك رد آخر به رقم البطاقة أو رقم القارئ (Numéro de Lecteur)، والتي ستسهل الحصول على البطاقة عند الوصول مباشرة.

من مرسيليا إلى باريس: حصلت على رسالة الاستقبال من إيكس- أون- بروفانس (Iremam)، فكان علي النزول في مطار مارينيان بمرسيليا يوم 28 أبريل من سنة 2015. قصدت النزل المعروف[3] بواسطة حافلة المطار- محطة القطار سان شارل بمرسيليا (8,20 أورو)، التقيت بالزميل علال بيتور الذي كان ينتظرني لنسافر معا، وفي الصباح أقلعنا في اتجاه باريس عبر القطار السريع (TGV)، وكان اليوم يوم أحد، اخترناه لنبدأ الاثنين العمل، وهو أول يوم من أيام الأسبوع لديهم.

كان الزميل علال بيتور قد حجز لي في القطار ذهابا وإيابا قبل الموعد بحوالي عشرة أيام، ولذلك جاء السعر بـــ100 أورو(55 للذهاب و45 للعودة)، بدل 95 أورو للنقلة الواحدة (ذهابا فقط)، فيما لو حجزت في اليوم نفسه، أي يوم السفر.[4] أقلعنا من محطة مارسيليا سان شارل صباحا في الساعة التاسعة و3د، وكان الوصول إلى باريس بمحطة القطار ليون الساعة 12 و25د، وهو نفسه التوقيت المبين في تذكرة السفر.

بعد النزول اتجهنا مباشرة نحو شباك التذاكر، اقتطعنا بطاقة اشتراك لمدة أسبوع عبر الميترو بمبلغ 26,25 أورو، وهذا أرخص مما لو اقتطعنا التذاكر يوميا، وهي صالحة لكل اتجاهات مترو باريس، يسلمك الموظف البطاقة في الحين، ويطلب منك وضع صورة فوتوغرافية عليها.

في محطة القطار ليون (Gare de Lyon) بباريس: تقع المحطة وسط مدينة باريس هي عبارة عن بناية ضخمة ذات طابع عمراني أوربي قديم. يدخل المسافرُ المحطة بواسطة بابين ضخمين تقابله شبابيك الحجز في كليهما. للقطارات موقفين، وكل منهما له خطوط (Voie). أحدها مرقم من A إلى N، والثاني مرقم من 5 إلى 23. عندما يقترب توقيت الإقلاع يسجل على الجهاز الإلكتروني الحائطي رقم الخط أو الرواق ليتجه كل مسافر إلى الخط الذي يناسبه.

تنتشر سبورات أو أجهزة إلكترونية في جهات عديدة من المساحة تكتب عليها قائمة القطارات القادمة والمقلعة في كل الاتجاهات، الداخلية منها والخارجية بكل التفاصيل(رقم القطار- الاتجاه- متأخر أو في الحين- رقم الخط -Voie-). تكتب كلها قبل وقت الإقلاع باستثناء رقم الخط الذي لا يعلن عنه على اللوح سوى قبيل الإقلاع بنصف ساعة. عند مدخل موقف القطار المعني يمرر المسافر بطاقة الحجز في جهاز خاص، ثم يركب العربة ويجلس في الدرجة والرقم الذي كتب له في التذكرة.

تحتوي المحطة على ما يلي: شبابيك للتذاكر- صالات المجلات والجرائد والحلويات- مقاهي ذات قاعات وكراسي وأخرى دون كراسي- مخادع للمشروبات والمرطبات- كراسي للراحة والانتظار- آلات وأجهزة للصرف والسحب- ينتشر على مساحة المحطة رجال أمن ذوو قامات ضخمة كلهم من أصول إفريقية، مهمتهم المراقبة والتوجيه. وفي أسفل المحطة قبو واسع خاص بالمترو يمتد على مساحة المحطة كلها.

مِترو باريس Metro de Paris: يعتبر النقل عبر المترو أحسن وسيلة للنقل الحضري سرعة وأمانا. ومترو باريس من أشهر متروات العالم، تم إنشاء أول خط منه سنة 1900 قبيل افتتاح معرض

إكسبو. يتكون اليوم من 16 خطا، يقع جلها تحت الأرض، يتميز بكثافته في قلب العاصمة. طوله حوالي 220 كلم بحوالي 302 محطة، ينقل يوميا أربعة ملايين مسافر، بعد أن تم توسيعه إلى الضواحي الملاصقة لباريس[5].

تقع خطوط مترو باريس أسفل المدينة في شبكة كبيرة عجيبة، وكأنها مدينة ثانية تحت الأرض، يصل العمق أحيانا إلى طابقين تحت الأرض. تجد في المداخل إعلانات مختلفة. في كل محطة تجد خريطة خطوط المترو، وبخاصة الاتجاهات التي يقصدها مترو ذلك المكان، يمنة أو يسرة، كل شيء موضح فيها، يمر المترو الواحد بعد الآخر كل دقيقتين.

تمرر البطاقة عند الدخول إلى المحطة على جهاز خاص ليفتح باب الدخول. يحاول بعضهم القفز على الحاجز دون دفع المستحقات، وكثيرا ما يقع هؤلاء بين أيدي الشرطة المختفين هنا أو هناك، ويكون الدفع آنذاك باهضا.

كنا نقيم في أحد فنادق الدائرة العاشرة (75010)، بالقرب من محطة المترو (Château d'eau)، نركب المترو رقم(04) ونغَير المسار عند محطة (Chatelet)، لنركبَ بعد ذلك مترو رقم(01) في اتجاه قصر فانسان، أي في الخط المعاكس لخط وزارة الدفاع. عند الاقتراب من نهر السين يصعد المترو على سطح الأرض، فترى أمامك الفضاء. يتم ذلك في محطة (Bastille)، حيث تستطيع رؤية النهر وبعض البنايات، ويسمى المكان (Port de Paris Arsenal).

تعتبر محطة شاتلي ملتقى لمختلف الخطوط، تحوي شوارع سفلية للراجلين في اتجاهات مختلفة، تربط بين مختلف المحطات المختلفة الاتجاهات، تسير فيها وكأنك في شوارع مدينة كبيرة.

تعطلت الحركة في إحدى محطات الميرو بسبب الأشغال، فكان يتم إخبار الركاب عند الاقتراب من المكان. وعند النزول تجد مجموعة من العمال يسهرون على توجيه كل راكب نحو الاتجاه الذي يرغبه. كلهم كانوا من أصول إفريقية، وقد تأثروا بسلوكيات الأوربي، فلا يضجرون من كثرة الأسئلة، بل تجدهم يشرحون ويعتذرون للركاب.

تجد أحيانا في أروقة المترو متسولين بالطريقة العصرية كالضرب على آلة موسيقية مع الغناء أو بواحدة منها، كما تجد إعلانات مختلفة. وهناك في كل محطة خزانتين، تحتوي إحداهما على المشروبات وتحتوي الثانية على أنواع من الحلويات(Gâteaux)، كل واحدة عليها سعرها، ما عليك إلا أن ترمي القيمة المالية في الفتحة الخاصة وتضغط على ما تريده فيخرج لك من أسفل الآلة.

يركب المسافر المترو جالسا أو واقفا، يتم الإعلان عن المحطة المقبلة بعد الإقلاع، مرتين: قبل الوصول وعند الوصول. ويُذَكر النداء، وهو أنثوي، الركاب بعدم مغادرة أماكنهم إلا بعد التأكد من عدم ترك أي شيء يخصهم عند المغادرة. تجد في كل محطة جدولا لكل المحطات التي يتوقف عندها المترو في الاتجاه المطلوب من الراكب وفي الاتجاه المعاكس.

الوصول إلى أرشيف قصر فانسان Service historique de le Défense: نزلنا في محطة قصر فانسان(Château de Vincennes)، وهي المحطة النهائية لمترو باريس في هذا الاتجاه. اتجهنا إلى الباب الرئيس ودخلنا عند الافتتاح الرسمي (تفتح أبواب المؤسسة يوم الاثنين في الساعة الواحدة بعد الزوال) وفي الساعة التاسعة صباحا في بقية الأيام، كان الرواد جزائريون وفرنسيون في أغلبهم. يمر الشخص أولا بباب رجال الأمن ثم باب الأرشيف. تجد في هذا الأخير أمامك مكتب الاستقبال (كان الموظف جزائريا من قسنطينة ويدعى يس)، يوجهك إلى مكتب التسجيلات، تسلم لك مطبوعة لملئها، وتنتظر دقائق معدودة لتستلم بطاقة القارئ (بشرط أن تكون قد سجلت من قبل وحصلت على رقم البطاقة)، وتتجه إلى الخزائن فتختار إحداها لتضع فيها أدواتك، إذ لا يسمح لك سوى بآلة التصوير وجهاز الحاسوب وقلم الرصاص، هذا الأخير الذي يسلم لك في مدخل قاعة المطالعة، إذا طلبته، على أن تعيده عند خروجك.

يضع القارئ الوسائل المسموح بها في كيس بلاستيكي شفاف موجود داخل تلك الخزائن، ويتجه إلى قاعة المطالعة.

دخلنا القصر في الساعة الواحدة بعد الزوال من يوم الاثنين (13-17سا)، وهو التوقيت الخاص بهذا اليوم. وبعد خمسة أيام من العمل، تم إعلامنا بأن القصر سيغلق يومي السبت 4 ماي والاثنين 6 من الشهر نفسه بسبب اقتران اليومين بعيد الفصح لدى الفرنسيين (Pâques).

يفتتح البرج والمحل لقصر فانسان كل الأيام ما عدا: أول جانفي وأول ماي وأول نوفمبر و11 نوفمبر و25 ديسمبر. -ساعات الافتتاح: من 21 ماي إلى 21 سبتمبر من الساعة 10 إلى الساعة 18.

-و من 22 سبتمبر إلى 20 ماي من العاشرة إلى الساعة 17.(بحسب إحدى المطبوعات التي تسلم في المكان). بالنسبة ليوم السبت لمن أراد ارتياد المكان لا بد من حجز استثنائي(9h30 à 15h).

قاعة المطالعة: تصعد السلم لتصل إلى الطابق الثاني، حيث تجد موظفا(ة) تسلم له البطاقة فيسجلك بطريقته الخاصة ويعين لك رقم المكان في قاعة المطالعة، فتدخل القاعة وتملأ مطبوعة طلب الوثائق

(الاسم كاملا-رقم البطاقة- رمز الوثيقة التي ستطلع عليها- تاريخ اليوم والإمضاء)، تسلمها للموظف المعني بين الساعة 9 و10(يسمح لك بطلب خمس علب يوميا)، وتنتظر الساعة الحادية عشرة والربع ليسلم لك أول ملف، تعيده بعد الاطلاع عليه وتستلم الملف الموالي. وإذا لم تكمل إحداها أو بعضها فأخبر الموظف بذلك عند الانتهاء منها، كي تستلمها في الغد الساعة التاسعة صباحا، فلا تنتظر الحادية عشرة سوى الوثائق الجديدة. كما يمكنك تقديم الطلب بين الساعة 13 والساعة 13.30 يوم الاثنين ليسلم لك الملف الساعة 14.30، أما في بقية الأيام فالطلبات تكون قبل الساعة 13.45.

ولكي يسهل الاطلاع على الوثائق لا بد من:

- الحصول على بطاقة قارئ صالحة للاستعمال.
- معرفة أرقام(Cotes) الوثائق المرغوب الاطلاع عليها.
-تعيين تاريخ الزيارة للمصالح المختصة في الحجز.[6]

توجد قاعة المطالعة في الطابق الثاني من المركب كما ذكرنا، وهي ذات أبواب ضخمة فسيحة تحتوي على طاولات كبيرة مرقمة. تجد في كل مكان مصباح يمكنك استغلاله عند نقص الكهرباء وبجانبه موصل كهربائي، يمكن استغلاله لشحن آلة التصوير المستعملة لتصوير الوثائق.

يوجد في صدارة القاعة منصة عليها طاولة وكرسي يجلس عليها رئيسها وأمامه حاسوب، يسجل فيه طلبات الوثائق، وهو منشغل به طيلة الأشغال اليومية. يتدخل من حين لآخر للتوجيه أو التنبيه (عدم استعمال الفلاش عند التصوير) أو المساعدة، وهو الذي يعلن عن اقتراب موعد إغلاق القاعة.

توجد إلى جوار قاعة المطالعة قاعة أصغر منها تحوي كتبا في التاريخ الفرنسي في مجملها، وللجزائر رفوف خاصة بها تتحدث أغلبها عن ما يسمونه بحرب الجزائر(Guerre d'Algérie).

محتويات المركز: قبل أن تتقدم إلى المؤسسة لطلب أي وثيقة عليك أن تحصل على رقمها. وهذا لا يتأتى لك إلا بالإطلاع على هذه الوثائق بعناوينها وأرقامها، والتي تم جردها وترتيبها (أرشيف حرب الجزائر) بعد خمسة عشر عاما من العمل الجماعي من قبل مختصين في الميدان[7]، وهو يمثل التاريخ العسكري التابع لوزارة الدفاع الفرنسية.

تتقدم قائمة الملفات صفحة على شكل غلاف كتاب عنوانه:

Algérie-inventaire de la sous-série 1h
(Années de publication: 1999-2000-2001).

-**Tome Premier:** Introduction générale. (204 pages)
Histoire des institutions militaires de l'Algérie 1945-1962. (sous série 1h cotes 1091 à 4881)
-**Tome deux**: Répertoire numérique détaillé :
Première Partie: (361 pages)
1-Délégation générale du gouvernement en Algérie et Commandement en chef des forces en Algérie.
2-Etat- Major interarmées. (exp : 1h1095 introduction aux études sur la rébellion diffusées par le centre de renseignement général de l'Algérie(1955))[8]
Deuxième partie: (496 pages)
3-Circonscriptions militaires.
A- Corps d'armée d'Alger.
b-Corps d'armée de Constantine.
c-Corps d'armée d'Oran.
d-Commandement des troupes et services des territoires du sud Algérien.
4-Mers-el-kebir.
5-Secteurs.
6-Divisions. (exp : 1h3786 synthèses mensuelles des actions rebelles contre le barrage(1957-1959))
7-Commandement des sites militaires au Sahara.
8-Journaux des marchés et opérations.
9-Service des affaires sahariennes.
-**Tome trois: Index** (168 pages)

يشتمل على عناوين مرتبة بحسب الحروف الهجائية اللاتينية.(ABCDEFGH.....)

(exp: Abbas Ferhat président du GPRA 1h2740-1)

الباحثون الذين التقيت بهم في فانسان: يتردد على قاعة المطالعة عدد كبير من الباحثين يوميا، أغلبهم فرنسيون. لم أشأ إدخالهم ضمن هذا العنصر، وسأكتفي بمن التقيت بهم من غير الفرنسيين، وهم:

1- أستاذ كمبودي: يقول عن نفسه إنه باحث فرانكو- كمبودي، يبحث في موضوع:

(La Marine en Indochine- Patrouille des Lacs et le Mékong.)

2- الهادي السعيدي: تونسي الجنسية أو الأصل. يعمل في الجامعة الحرة المسيحية بمدينة لِيلْ- قسم علم الاجتماع، يبحث في موضوع: "مشاركة الجنود والعمال التونسيين في الحرب العالمية الأولى".

3- هدهد عبد العزيز: باحث مغربي حرّ، يبحث في أنساب بعض العائلات المغربية. يقول إنه وجد صعوبات في الوصول إلى مبتغاه بالمؤسسة.

4- خبيزي ملكة: طالبة جزائرية بجامعة INALCO بباريس، من ولاية الجلفة، تحضر لشهادة الدكتوراه في موضوع:

"La Guerre d'indépendance dans la région de Djelfa (1954-1962)"

5- بيتور علال: أستاذ مساعد أ من جامعة الجزائر، يحضر لشهادة الدكتوراه في موضوع: المنطقة الثانية التاريخية في جانبها العسكري". تعرضنا له في رحلتنا إلى إيكس أون بروفانس سنة 2013م[9].

6- شروان رياض: طالب دكتوراه بجامعة السوربون بباريس، من مدينة قسنطينة، يبحث في موضوع: "نظام الحالة المدنية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، بلدية أسْمندو نموذجا". طالب كفيف تساعده موظفة من مؤسسة الأرشيف.

7- أساتذة من جامعة تيارت: التقيت بمجموعة من أساتذة التاريخ من جامعة ابن خلدون بتيارت، جاءوا في تربص قصير المدى، مغتنمين عطلة الربيع 2015م، منهم:

أ- **بكاري عبد القادر:** أستاذ مساعد أ يبحث في موضوع: "الجزائر في العهد العثماني: دراسة للعلماء وكتاباتهم".

ب- **بليل محمد:** أستاذ محاضر، يبحث في موضوع: "الحركة الوطنية والثورة الجزائرية في الغرب الجزائري".

ج- **بن صحراوي كمال:** دكتور في تاريخ الجزائر الحديث، يبحث في موضوع: "المقاومة الشعبية بمنطقة تيارت في منتصف القرن التاسع عشر".

د- **بوعناني العربي:** أستاذ مساعد أ، يبحث في موضوع: "المقاومة بمنطقة سوقر خلال القرن التاسع عشر".

هـ- **خنفار حبيب:** أستاذ مساعد أ. يبحث في موضوع: "التراث الثقافي الجزائري(مادي ولامادي) من خلال الكتابات الفرنسية بالمجلة الإفريقية".

كنا نحن الجزائريون نلتقي خلال الاستراحات أو في قاعة المطالعة نفسها، نساعد بعضنا البعض أو نستفسر بعضنا البعض عن أي أمر علمي أو تقني يعترض سبيل هذا أو ذاك.

كما التقيت ببعض هؤلاء الباحثين، وبأساتذة آخرين خلال عملي بمركز أرشيق ما وراء البحار بإيكس-أون-بروفانس وأنا في طريق العودة من باريس.

أهم معالم باريس: تتعدد معالم مدينة باريس كثيرا سياحية طبيعية كانت أم تاريخية أثرية. وسنقتصر على أهمها وبكل اختصار، وهي:

1- **برج إيفل(Tour Eiffel):** انتهى العمل فيه سنة 1889م. تستطيع منه رؤية باريس إذا كان اليوم صحوا.

2- **قوس النصر**: (**L'arc de Triomphe**) أنجز فعليا سنة 1836 في عهد الملك لوي فليب.

3- **الشانزيليزيه (Champs Elysées)**: شارع ضخم طويل ومتسع. يبدأ من ميدان الكونكورد وينتهي في ميدان شارل ديغول عند قوس النصر.

4- **مركز بومبيدو للفنون والثقافة**: يقع في منطقة بوبور.

5- **ميدان الكونكورد**: يقع في قلب العاصمة، انتصبت فيه المقصلة التي حصدت العديد من أرواح الشخصيات في عهد الثورة الفرنسية.

6- ليزانفاليد(L'hôtel des Invalides): هو مجمع بني سنة 1671م لإيواء العجزة والمسنين.

7- متحف اللوفر: من أكبر متاحف العالم، أخذ عدة تسميات، ومر بعدة مراحل بحسب نوع الحكم. تبلغ المساحة المخصصة للعرض فيه 60 ألف متر مربع، ويعمل به 1500 موظف.

8- ساحة "**الباستي**" **La Bastille** هو السجن الذي حطمته الجماهير الشعبية خلال الثورة الفرنسية.

10- قصر فِرساي: خصص منذ سنة 1837 ليقوم بدور متحف التاريخ الفرنسي. كان محلا للعديد من الأحداث التاريخية، فمنه انطلقت شرارة الثورة سنة 1789م، وفيه عقدت معاهدة فرساي الشهيرة سنة 1919.

11- **نهر السين(La seine)**: يخترق نهر السين مدينة باريس في اتجاهه نحو الشمال الغربي الفرنسي، ليصب في القنال الإنكليزي بالقرب من لوهافر على مسافة 776 كم(من المنبع). يعطي مدينة باريس شكلا هندسيا مميزا. يعبره 37 جسرا في باريس، وتتخلله بعض الجزر التي استغلت في الميدان السياحي. يعتبر النهر أحد أهم وسائل النقل المائي التجاري. كان الفرنسيون يحاولون إقناعنا في العهد الاستعماري بأن البحر المتوسط يقسم فرنسا إلى قسمين كما يقسم نهر السين مدينة باريس إلى قسمين.

مغادرة باريس: كنت وزميلي علال بيتور قد استيقظنا في الساعة الخامسة صباحا يوم الأحد الرابع من شهر أبريل، في انتظار الطبيب الجزائري صديق رفيقي ليوصلنا إلى المحطة. كان الرجل أمام الفندق في الساعة السابعة، وانطلق بنا في سيارته الجديدة. كان الطريق شبه خال من السيارات.

نظام تحديد المواقع: كانت سيارة الطبيب مزودة بجهاز حديث يخبرك عن الطريق الأسهل في اتجاه المحطة. ويشير أحيانا إلى الدوران على اليمين أو اليسار أو يخبرك بالدوران في اتجاه معين بعد اجتياز طريقين على اليمين، وهكذا إلى أن وصلنا هدفنا.

ويسمى هذا النظام المستخدم في السيارات والهواتف النقالة وغيرها لتحديد الأماكن بنظام GPS، وهي اختصار لـــGlobal Positioning System، وتعني بالعربية: نظام تحديد المواقع.

كانت التطبيقات الأولى لنظام تحديد المواقع عسكرية بحتة في البداية؛ حيث كان يستعمل في الأسلحة الموجهة أو ما يسمى بالأسلحة الذكية وفي الملاحة البحرية والجوية العسكرية. ويستخدم اليوم في تطبيقات مدنية أيضاً، مثل توجيه الطائرات المدنية والملاحة البحرية، وأصبحت في الأسواق أجهزة استقبال (ج. ب. س.) للاستخدام الشخصي، ودخلت التقنية إلى بعض الهواتف المحمولة الحديثة، ووجدت شعبية كبيرة في أنظمة ملاحة السيارات وإرشاد السائق إلى الهدف أو المكان المحدد. كما أن للنظام تطبيقات في ميدان الجيولوجيا وقياس التصدعات الأرضية وحركة القارات، بالإضافة إلى إمكانية استعماله لتحديد سرعة العربات، ويمكن استعماله لتحديد مواقع الآلات الفلاحية في الحقول الكبيرة. أما التعريف به باللغة الأجنبية فتجده في الموقع التالي:[10]

ركب زميلي بيتور القطار بينما انتظرت توقيتي الذي يختلف عنه. قضيت ساعات بالمحطة أنتظر توقيت سفري إلى مرسيليا في طريق العودة، كان اليوم مشمسا(الأحد 2015/4/4)، لأني، كما ذكرت، وصلت محطة القطار قبل وقت الإقلاع بكثير. كانت مذيعة المحطة تذيع من حين لأخر تحذيرات للركاب تطلب منهم عدم ترك أمتعتهم بعيدا عنهم، وأن لا يستلموا أي أمتعة من غيرهم. وأن رجال الأمن سيستولون علي أي أمتعة من غير صاحب، وسيعاقبون كل من يجدوا عنده أمتعة لغيره. وينصحون الركاب بوضع أسمائهم على الأمتعة، وقد خصصوا مكتبا لتسليم المسافرين بطاقات توضع عليها أسماؤهم.

من تنظيماتهم: إنهم يسهلون كل الوسائل على كل صاحب حاجة، ففي محطات الحافلات تجد مكانا توضع فيه كتيبات للشرح والتوضيح، وتجد الشيء نفسه في محطات القطار ومحطات المترو. من ذلك ما تمكنت من الاطلاع عليه، وهو كتيب في محطة قطار ليون بباريس به نصائح وتوجيهات سلوكية وأخلاقية. يحمل الكتيب عنوان: Voisins à bord يشتمل على كيفية كسب أصدقاء من بين المسافرين وتقديم العون لهم وبخاصة للذين هم في حاجة ماسة إلى المساعدة كالمعوقين وكبار السن والغرباء، وإيجاد الألفة بين المسافرين. ومن العناوين الفرعية لذلك الكُتيب نجد:

Voisins a bord avec SNCF- Profitons des bons cotés d'être à coté !- voyage entre voisins- Partir du bon pied- Je peux vous aider?- Un moment à partager- Arriver en toute sérénité- Des astuces à partager pour bien voyager…

يظهر أن المجتمع المادي قد فقد الكثير من مظاهر التعاون والتآلف، لذلك نجد محاولات العودة إلى التعاون والتعاضد وإيجاد الألفة بين الأفراد والجماعات. من ذلك نصيحة مؤداها ما هو متواتر عندنا من الحديث النبوي: "الابتسامة في وجه أخيك صدقة".

..Si cela peut initier un geste ou un sourire qui invite une relation positive avec son voisin, alors nous aurons réussi.

بعض سلبيات الفرنسيين: تحدثت في رحلتي السابقة إلى إيكس- أون- بروفانس، عن إيجابيات الحضارة الغربية، وفرنسا هي واحدة منها، والتي زرتها مؤخرا(2013)، تحدثت عن النظام وعن السلوك والمعاملة التي فاقونا بها، وسأتطرق اليوم إلى بعض سلبياتهم الظاهرة.

أ- امتهان المرأة بعرض صورها العارية: يضع الأوربيون المرأة في كثير من الحالات مساوية للرجل، ويأخذون على المسلمين انعدام هذه المساواة لديهم. لكننا نجدهم في حقيقة الأمر يمتهنونها ويضعونها في أسفل سافلين في نظرتهم إليها. إنها نظرة جنس أنثى مقابل جنس ذكر.

يصورونها عارية أو تكاد تكون كذلك في صور يعلقونها على زجاج المحلات وعند مداخل المترو وعلى غلاف أغلب المجلات المتداولة، فالعري وإظهار مفاتن المرأة يعتبره الغرب حرية. وقد استغلوا جسد المرآة الجميلة كسلعة للانتفاع بها للمساهمة في ترويج التجارة وإغراء المستهلكين بذلك. وهم عندما يختارون الجميلات لترويج سلعهم عن طريق عرض الأزياء أو في صور خليعة، إنما يفعلون ذلك بغرض الربح المادي لا غير. أما الرجل فلا يستغل كجسد في مثل هذه الأمور.

فهل المرأة مجرد جسم وقوام جذاب؟ أين هي الزوجة الودود؟ أين هي الأخت المعطاءة؟ أين هي الأم الحنون؟ لماذا لا يتغنون بهذه الصفات؟ ما هي الفروق بين الإنسان والحيوان؟ أليس هو العقل والتفكير ورد الكلام –كما تقول العامة عندنا-؟

يقضي الحيوان حاجته دون تستر ودون رفق ودون اختيار للمكان أو الزمان. فما الفارق بينه وبين الإنسان إذا شابهه هذا الأخير في علاقة الرجل بالمرأة؟

ب- امتهان المرأة نفسها بالتدخين: لقد خلق الله المرأة سكنا للرجل وهو سكن لها وجعل بينهما مودة ورحمة، وجعل كلا منهما في حاجة للآخر، فكان عليهما المحافظة على هذه العلاقة. وأعطى للمرأة صفات حميدة كالحشمة والوقار، لكن المرأة الغربية وكذا الرجل، أفسدا ذلك بعرض جسم المرأة بكل بساطة، و لم توضع لتلك العلاقة حدود. وها هي المرأة تشعل سيجارة تفسد بها جمالها وجاذبيتها، وها هو الدخان ينطلق من فيها، عبارة عن ريح نتنة بدل الريح الطيبة، هذا إذا استبعدنا شرب المُسْكرات، وكيف يتحول الإنسان فيها من خير حال إلى شر حال.

هل هي المساواة التي يتكلمون عنها؟ إن المرأة هناك لا تريد أن يتميز عنها الرجل في أي شيء وحتى في التدخين، إذا ما سلمنا بأن في إمكان الرجل التدخين لخشونته وشدة تحمله. ولذلك دخلت هذا الميدان لتقف معه الند للند، ففقدت بذلك تميزها النقي الصافي.

التقينا أنا وزميلي بيتور علال في مدينة باريس أحد الأطباء الجزائريين العاملين هناك، وأثناء الحديث، ونحن نتناول فطور الصباح الذي استضافنا إليه الطبيب قلت له: لقد قضينا أسبوعا بباريس والجو كله إما ممطر وإما مغيم. فقال هذا أفضل لنا لأن الجو الصحو أو الدافئ سيجعل نساء باريس يعرين أجسادهن، فهذا الجو بالنسبة لي الأفضل في هذا المكان[11].

ج- التفكك الأسري: تشهد الأسرة الأوربية عامة حرية مطلقة في العلاقة بينها. فلا سلطة أبوية ولا أمومية؛ إذ بمجرد بلوغ الابن أو البنت سن الرشد يستطيع كل منهما الاستقلال بنفسه عن الأسرة، وبذلك يتفكك أفرادها ويفقد كل فرد من الأسرة علاقته بأهله وذويه، فهي استقلالية فاعلة؛ مما يسهل الانحلال والتشتت، ويؤدي إلى الانفصال بين أفراد الأسرة بكل سهولة. ويدفع المسنون الثمن حيث يعيشون في عزلة منفردين عن ذويهم، مما قد يؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى الالتجاء إلى دور العجزة.

وليس للأب ولا الأم سلطة على أبنائهما بعد هذه المرحلة، وتطبق هذه الحالة على كل فرنسي أو مقيم في الأراضي الفرنسية، وأكبر من يعاني في هذه القضية هم الجزائريون باعتبارهم مسلمين، لهم عاداتهم وتقاليدهم، ولهم سلطة على أبنائهم؛ لكنهم مجبرون على التقيد بقوانين البلد الأوربي أو الفرنسي، القاضي بالتحرر الكامل للأبناء. وما يثير حفيظة الجزائريين باعتبارهم مسلمين هو تحرر البنت من سلطة أبويها بمجرد بلوغها سن الثامنة عشرة. فالأب لا يستطيع منع ابنه أو ابنته من الخروج مع زملائها أو الدخول إلى المترل كيفما يشاءون، وإذا ما أراد الوالد أن يفرض سلطته، فقد ترفع دعوى ضده يكون مآله فيها العقاب، فيضطر إلى الاستسلام للأمر الواقع.

هناك يعاني المغتربون من أصول مغاربية من انشطار تواجدهم بين بلدهم الأصلي والبلد الذي استقروا به هم وأولادهم في أوربا، فإذا ما رغب أحدهم العودة إلى بلده الأصلي، بعد أن يحال على التقاعد، يجد أمامه العقبة الكأداء، وهي رفض الأبناء العودة، بعد أن تأقلموا مع الأوضاع هناك في أوربا. وهم لا يستطيعون التأقلم مع بلدانهم المغاربية التي تعيش أسلوبا مغايرا في كل شيء: في البيت والشارع والعمل، فيضطر الآباء إلى التضحية ببلدهم والبقاء مع أبنائهم هناك،

وهم يتجمعون هنا وهناك في أحياء معينة يسلون أنفسهم في المقاهي والمطاعم والأسواق والساحات، يقتلون الفراغ قتلا.

د- تعصبهم لجنسهم: مجتمع أوربا مجتمع متطور متجانس متعاون سائر في طريق التقدم في معاملات حسنة وديمقراطية كاملة، باحترام الغير وإعطاء كل ذي حق حقه، وتقديم الكفاءات، فالرجل المناسب في المكان المناسب حقيقة لا مراء فيها. هذا فيما بينهم، أما تجاه الآخر من غير جنسهم فالأمر مختلف. يفتحون بنوكهم للأموال المنهوبة من بلداننا نحن المتخلفون، ويمنحون اللجوء السياسي لمن خرب منا بلاده وأفسد فيها وأحرق الحرث والنسل، هناك يجد الملجأ والمأوى. يقولون إنهم سينشرون الديمقراطية في بلداننا ويدافعون عن حقوق الإنسان المهدورة في بلداننا. فيتدخلون في شؤوننا بلا رادع ويوجهوننا كما يريدون لا كما نريد نحن، لأننا التجأنا إليهم لإنصافنا وحل مشاكلنا التي لم نستطع حلها، فيزيدوننا هما على هم وتخلفا على تخلف.

وتنتشر بينهم ظاهرة التعصب لجنسهم وبني عمومتهم، ضد جنسنا وعقيدتنا، ويرموننا بكل نقيصة ولو ارتكبها أفراد منا متطرفون كما يسمونهم وغلاة عندنا. يتقربون من زعمائنا لقضاء مصالحهم، فإذا ما وجدوا الشعب معارضا لذلك نفضوا أيديهم من مساندة ذلك الزعيم وذهبوا إلى غيره. إن مصلحتهم اقتضت الوقوف مع صاحب السلطة القوي، ولا هَمَّ لهم مع الضعيف المنبوذ من شعبه. عندهم مصالح دائمة وليست لهم صداقة دائمة.

في مرسيليا: كنت قد نزلت في مطار مدينة مرسيليا عند دخولي إلى فرنسا، وها أنذا أنزل بها لزيارة مركز أرشيف ما وراء البحار ثانية، ولأعود عبرها إلى الوطن من مطارها، وسأتعرض هذه المرة للحديث عن أحد مساجدها المتميزة؛ بعد أن أسهبت في ذكر بعض معالمها في رحلتي السابقة.

مسجد الدعوة والتبليغ: أشرنا إلى ظروف المساجد بفرنسا عامة في مقالنا السابق، الخاص بالرحلة إلى إيكس-أون-بروفانس سنة 2013، وسنقصر حديثنا هذه المرة على أحد المساجد المستقل عن السكنات عكس بقية مساجد مرسيليا. حصل عليه مسلمو المدينة بطريقة خاصة. يتربع على مساحة تبلغ حوالي 600 متر مربع. يتكون من ثلاث طوابق، الثالث منها للنساء، وبه أربع قاعات كمدرسة يتعلم فيها أبناء المسلمين القرآن الكريم وهذا برخصة من سلطات المدينة، يبلغ عددهم حاليا(2015): 400 طفل، بحسب تصريح رئيس الجمعية الدينية.

يوجد المسجد غير بعيد عن محطة قطار سان شارل، إلى الجهة الجنوبية منها، في العنوان التالي:
Association Tabligh daoua , 24 rue Malavale.

تم افتتاحه حوالي سنة 2004م، كان المكان مستودعا مهملا ملكا لأحد الفرنسيين، عرضه للبيع فاشترته منه الجمعية التي كانت تنشط في مصلى مؤقت، وقد سُجل رسميا باسم الجمعية خلال 15 يوما عند أحد الموثقين الفرنسيين المساندين لقضايا المسلمين. وقد حاولت السلطات حرمان المسلمين منه، لكن الموثق كان قد أعد للأمر عدته، وأكد لهم أن المسجد تم شراؤه بحسب القانون، فلم تجد السلطات بُدا من الانقياد الأمر الواقع[12].

بنى له المسلمون هناك صومعة صغيرة على الركن الأيسر من المسجد بارتفاع لا يزيد عن خمسة أمتار. وقد فرضت عليهم السلطات دفع غرامة كبيرة نتيجة ذلك العمل دون ترخيص، إلا أن المهم بالنسبة للمسلمين أنهم تركوا لهم الصومعة. ويذكر رئيس الجمعية الدينية أنهم دفعوا قيمة الغرامة من تبرعات المصلين خلال سنتين، وكان مبلغا كبيرا(لا أتذكر القيمة).

في اليوم العاشر من شهر أبريل وهو يوم إقلاعي من مرسيليا في اتجاه الجزائر، حضرت صلاة الجمعة في هذا المسجد. كانت طوابقه الثلاثة مليئة بالمصلين، وجلهم مغاربيين شباب إلى جانب بعض الأفارقة. كان موضوع الخطبة موقف الإسلام من السحر والكهانة اعتمادا على آيات قرآنية وأحاديث نبوية. أدى الإمام الخطبة الأولى باللغة العربية وأعاد مدلولها باللغة الفرنسية في الخطبة الثانية[13].

وفي نهاية الصلاة أعلن الإمام عن جمع التبرعات لصالح المسجد، وقد وقف أعضاء من الجمعية أمام أبواب المسجد يدعون المصلين إلى الإحسان، يتقدمهم رئيس الجمعية السيد عمراوي المولودي[14].

كانت هذه بعض الملاحظات التي أبديتها حول رحلتي الأولى إلى مركز أرشيف ما وراء البحار بإيكس-أون-بروفانس سنة 2013م (نشرت في عدد سابق من المجلة)، والثانية هذه إلى قصر فانسان حول التاريخ العسكري سنة 2015م؛ ترضية لرغبتي في الكتابة أولا، وتقريبا للباحثين والطلبة عامة ولكل من أراد الاستفادة من المعلومة.

الهوامش:

1- كنت قد حجزت في الطائرة ليوم 28 مارس، والعودة يوم 10 أبريل2015.

[2]-في السابق كان على الباحث أن يقوم بإرسال قائمة مفصلة (خمس علب يوميا) للأيام التي يقضيها في المؤسسة، عبر البريد الالكتروني إلى العنوان التالي: <vincennes.salle-lecture-louis14.fct@intradef.gouv.fr-- أما اليوم فيمكنك طلب الملفات وأنت في المؤسسة نفسها.

[3]-أشرت إليه في مقالي السابق عن رحلتي إلى إيكس- أون- بروفانس، مجلة عصور الجديدة، العدد 11-12، خريف- شتاء 2013-.2014

[4]- يمكن أن يكون السعر أخفض من كل ما ذكرت فيما لو حجز الشخص قبل الموعد بعدة أشهر.

[5]-Arg.wikipedia.org

[6]- Le Formulaire de réservation est disponible sur notre site Internet dans la rubrique. (réserver à distance)
-Le Formulaire de réservation est disponible auprès de la présidence de salle et à la Permanence d'accueil scientifique. (Réserver sur place)

[7]- Philippe Schillinger, Archiviste en chef du service historique de l'armée de terre. Directeur des archives et de la bibliothèque (avant propos)

[8]- هو مثال لأحد عناوين الملفات مع الرقم(Cote) الدال عليه.---- 9-مجلة عصور الجديدة المذكورة سابقا.

10--Fr.wikipédia.org

11-عيسى منادي طبيب من البليدة مختص في الطب النفسي للبالغين والأطفال. تزوج في الجزائر، و لم يشأ أن يصحب زوجته معه إلى فرنسا خوفا من الظروف الأخلاقية، لكنه اضطر في آخر الأمر إلى اصطحاب أسرته. بحسب زميله علال بيتور.

12- بشهادة ريس الجمعية عمراوي المولودي، تاجر من جنسية مغربية، مولود سنة 1939.

13-لاحظت أثناء زياراتي لبعض مساجد المسلمين في مرسيليا وفي باريس أن المصلين يترعون جواربهم عند الدخول إلى المسجد للصلاة، وهي عملية تستحق كل التقدير. كما أن الأذان لا يرفع إلا داخل المسجد.

14-جاء في صحيفة (Le Journal de Dimanche) ليوم 5 أبريل 2015، وبحسب تصريح دليل بوبكر، رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، وذلك في الاجتماع السنوي لمسلمي فرنسا المنظم من قبل إتحاد التنظيمات الإسلامية في فرنسا، المنعقد في (Bourget)، أن المسلمين الفرنسيين في حاجة إلى ضعف عدد المساجد الموجودة حاليا (2200) في حدود العامين المقبلين.

The summary: My second trip to Vincennes Palace in Paris
****Historical service of the Defence****

This article is about my scientific trip to the archives of Vincennes Palace belonging to the French Defense ministry that I visited in 2015. In this article I indicated the means by which we make the contact with this archive establishment, and how to register on the internet, I also discussed the way leading to this interesting building, starting from Algerian Airways towards Marseille Provence Airport, then saint Charles station, were I took The TGV towards Lyon station train in Paris, there I described its compoment and the underground of Paris, and how to go the Vincennes Palace and how to get the reader's card and the access to the reading roon in order to reach the archive files and some of the components of the Palace, on the other hand I dealt with the negative aspects of the French Society that I showed its civilized features_and characters in the previous article, I also mentioned some researchers_whom I met there. Fially I finished my reseach work by dealing with one of some mosques located_in Marseille that muslims owned after a strong struggle.